﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم: 68]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الخالِقُ المُقتدِرُ كما أوجد الدّنيا خلق الآخرة تكرِمةً للمُتّقين وعذابًا للمجرمين

بعد أن قدَّم سياقُ السّباقِ حالةَ إنكارِ البعث، وردَّ عليها مُخاطِبًا العقلَ بما يقنع، وما ليس فيه جدالٌ أو خلافٌ؛ ليُثبتَ صحّة وقوع البعث: ترقَّى خطوةً في الرَّدِّ؛ فأثبت أنَّ البعثَ واقعٌ لا محالةَ، وأنَّه حين يقَع يكونُ حالُ مُنكِريه كيت وكيت، وهذا غضبٌ وتهديدٌ لِمَن يُصرُّ على إنكار البعث بعد الأدلّة السَّابق بيانُها، فهذه الآية وما بعدها مِن تمام ما قبلها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: من (حَشَرَ)، "والحَشرُ الجَمعُ مَعَ سَوقٍ، وكلُّ جَمعٍ حَشرٌ، والعربُ تَقولُ: حَشَرَت مالَ بَني فُلانٍ السَّنَةُ كأنَّها جَمَعَتهُ، وذَهَبَت بِه، وأَتَت عليه"[1]، والحَشرُ: إخراجُ جماعةٍ عن مَقرِّهم وإزعاجُهُم عنه إلى حرب ونحوها، ويُقالُ ذلك في الإنسان وفي غيره، ولا يُقالُ الحشرُ إلَّا في الجماعة، وسُمّي يومُ القيامة يومَ الحشر، كما سُمّي يومَ البعثِ والنّشرِ[2].

2) ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾: من (حضر) وهو إيرادُ الشَّيءِ، ووُرودُهُ ومُشاهَدَتُهُ، والمعنى المحوريّ للكلمة انتقالٌ بكثافةٍ أو قوّةٍ إلى مجمع يدوم، كانتقال الماء سَرَيانًا، أو النَّاس إلى المَناهل، والتَّجمُّعُ حول المَناهل هو أصلُ الحَضَر[3]، و"الحَضَرُ: خلافُ البَدوِ، والحَضارةُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حشر).
(2) الرَّاغب، المفردات: (حشر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي الاشتقاقيّ المؤصّل: (حضر).

والحِضارَةُ: السّكونُ بالحَضَر، كالبَداوة والبِداوة، ثمَّ جُعِلَ ذلك اسمًا لشهادة مكانٍ أو إنسانٍ أو غيره، فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: 180]، و﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القمر: 28]، أي: يحضرُهُ أصحابُه، والحَضيرَةُ: جماعةٌ مِنَ النَّاس يُحضَرُ بهمُ الغَزوُ، وعُبِّرَ به عن حضور الماء، والمَحْضَرُ يكون مصدرَ حضرْتُ، ومَوضِعَ الحُضور"[1]، واستُعمِلَ الإحضارُ للإتيان بالخَلق إلى مَوقِف الحساب يومَ القيامة، فكأنَّه بمعنى الحشر[2].

3) ﴿جِثِيًّا﴾: جَثا على ركبتيه يَجثو جُثوًّا وجِثيًّا، فهو جاثٍ، نحو: عَتا يَعتو عُتوًّا وعُتيًّا، وجمعه: جُثيٌّ، نحو: باكٍ وبُكيٌّ، وقوله ﷻ: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 72]، يَصحُّ أن يكون جمعًا نحو بُكيّ، وأن يكون مصدرًا موصوفًا به، والجاثية في قوله ﷻ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: 28] موضوعٌ مَوضِعَ الجمعِ، كقولك: جماعةٌ قائِمةٌ وقاعِدةٌ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عـرضُ القيامة حشرٌ وإحضارٌ

قدَّمتِ الآياتُ في السّياق القريب الأدلَّةَ على صحّة وقوع البعث، وبيَّنَتِ الأصلَ الّذي ينبغي ترتُّبُه على اعتقادِ ذلك مِنَ البلوغ في عبادة الله تعالى كلَّ مبلغٍ مُمكنٍ؛ مِمَّا يستدعي تحمُّلًا وسيعًا لمشقَّةٍ بالغةٍ ستكونُ مع تلك العبادة المذكورة، وبيَّنَت أيضًا ما ترتَّبَ على الخطابِ بالبعثِ لدى فئةٍ مِنَ العباد مِنَ الإنكارِ الشّديد له، ثمّ ردَّتْ عليه ردًّا يخاطِبُ العقلَ خطابًا مُقنِعًا جدًّا، وفي هذه الآيةِ بيانٌ لحالِ المُنكِرِ؛ إذا استمرَّ على إنكارِه، وفارَق الدّنيا، وهو عليه باقٍ، وله مُعتقِدٌ، والمعنى: (فوَربِّك - يا محمّدُ ﷺ- لنحشرَنَّ هؤلاء المُكذِّبين بالبعث مع الشّياطين الَّذين أغوَوهم)، قال المُفسِّرون: يُحشَرُ كلُّ

(1) الرَّاغب، المفردات: (حضر).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي الاشتقاقيّ المؤصّل: (حضر).
(3) الرَّاغب، المفردات: (جثا).

كافر مع شيطانه في سلسلةٍ ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾؛ أي: نحضر هؤلاء المجرمين حول جهنَّم قعودًا على الرُّكَب من شدَّة الهول والفزع، لا يطيقون القيامَ على أرجلهم لِما يدهمُهم من شدَّة الأمر وهول المَوقِف.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الفاء في ﴿فَوَرَبِّكَ﴾:

قَسَمٌ يستدعي التَّثبُّتَ والاتِّعاظَ

الفاءُ حرفُ عطفٍ يفيد التّرتيبَ والتّعقيبَ، والمعطوفُ عليه محذوفٌ، تقديره: (أنكَروا الحشرَ) ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾، أو "الفاءُ تَفريعٌ على جُملةِ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ باعتِبارِ ما تَضَمَّنَتْهُ مِنَ التَّهديدِ"[1].

غرضُ التّعبير بالقسم وإيثار الواو للقسم:

مِن آلاء الله في الدّنيا التّذكيرُ بعقابه الشّديد في الآخرة

فائدةُ القسم هنا في قوله ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ تأكيدُ تحقيقِ وعيدِ اللّه تعالى لهؤلاء المكذِّبين المُنكِرين أمرَ البعث وكونه مُستبعدًا، وواو القسم لا تدخلُ إلَّا على مُظهَر، ولا تتعلَّقُ إلَّا بمحذوفٍ، فإن تلتْها واو أخرى فالتَّالية واو العطف، وإلَّا لاحتاج كلٌّ مِنَ الاسمين إلى جواب، وواو القسم هي أمُّ الباب، وهي أقوى في وقوعه من غيرها، وآكد في أداء المُقسَم عليه، ووراء التّعبير بالقسم "أمران: أحدهما: أنَّ العادةَ جاريةٌ بتأكيد الخبر باليمين"[2]، ويَستَتبِعُ توكيدَ الوعيدِ وتحقيقَهُ: تفخيمُهُ وتعظيمُهُ؛ ليكونَ فيه ترهيبٌ شديدٌ للمُنكِرين، وإعلامُهم بهذا، وهُم في الدّنيا، رحمةٌ بهم.

مَرجِعُ ضمير الخطاب في ﴿فَوَرَبِّكَ﴾، وسرُّ الإضافة:

تفخيم شأنه ﷺ ورفع مَنزِلته

الخطابُ لرسول اللّه ﷺ، "والقسمُ بالرَّبِّ مُضافًا إلى ضمير المُخاطَب، وهو النَّبيُّ ﷺ إدماجٌ لِتَشريفِ قَدرِه"[3]، و"لتحقيق الأمر بالإشعار بعلَّتِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 145.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 13/ 101.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 145.

وتفخيم شأنِه ﷻ ورَفعِ مَنزِلَتِه"[1]، وتوجيهُ الخطابِ إليه ﷺ في صدرِ تقرير هذا الوعيد فيه تنبيهٌ لطيفٌ على أنَّ الله تعالى لم يُعجِّلْ بعقوبة إنكار البعث أو بشيءٍ منها في الدُّنيا لهم، فيرحمهم بذلك؛ إكرامًا لرسول الله ﷺ، وأنَّ عقابَ هؤلاء المُنكرين يوم القيامة فيه نوعُ شفاءٍ لصدور المؤمنين وإحسانٍ إليهم؛ أولئك الّذين تحمَّلوا مِن أذى المُنكِرين ما تحمَّلوا.

سرُّ الإقسام باسم الرّبِّ دون غيره:

ذِكرُ الرّبِّ ﷻ هنا في قوله ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ هو الأنسبُ للمقام، فلمَّا كان الرَّبُّ هو أصلَ الإنشاء والإيجاد والتَّربية حالًا فحالًا إلى حدِّ الكمال والتَّمام، هذا إلى جانب أنَّ من نِعَم الله على عباده أن يُعيدَهم ليقفوا أمامه، فيأخُذَ للضّعيف المظلوم مِنَ القويِّ المُتجبِّر، ويُثيبَ المؤمنَ، ويُعذِّبَ الكافرَ، والأنسبُ في ذكر النِّعم أن يُعبَّرَ بالرّبِّ ﷻ.

مَرجِعُ الضّمير في ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾، وسرُّ التّخصيص:

إنكارهم للبعث مُـؤذِنٌ بغضب الـلـه تـعـالى عليهم

الضّميرُ هنا عائدٌ على المُنكِرين للبعث؛ لأنَّ الحديثَ خاصٌّ بهم، ومتعلِّقٌ بإنكارهم البعثَ، ويفيدُ الضّميرُ الجِنسَ المُفيدَ للاستغراقِ العُرفيِّ؛ أي: (لَنَحشُرَنَّ المُشركينَ)[2]، وفيه أنَّهم كأنَّ لهم حشرًا خاصًّا بهم، كما اختُصّوا بإنكار البعث، وهذا إبلاغ في وعيدهم وتهديدهم.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾:

كفى بهم نقمةً أن يُحشَروا مع الشّياطين

"عَطَف ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ على ضميرِ المُشركينَ لِقَصدِ تَحقيرِهم بأنَّهُم يُحشَرونَ مَعَ أحقَرِ جِنسٍ وأفسَدِه، وللإشارة إلى أنَّ الشَّياطينَ هُم سَبَبُ ضَلالِهِمُ الموجِبُ لهُم هذه الحالةَ"[3].

ويجوز أن تكونَ الواو في الآية بمعنى (مع)؛ والمعنى: أنَّهم يُحشَرون مع قرنائهم مِنَ الشّياطين الَّذين أغوَوهم مع كلِّ شيطانٍ في

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 16/ 118.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 145.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 145.

سلسلةٍ[1]، وقد "رويَ أنّ الكفرةَ يُحشرون مع قُرَنائهم مِنَ الشّياطين الّتي كانت تُغْويهم، كلٌّ منهم مَعَ شيطانه في سلسلةٍ وهذا، وإنْ كان مُختَصًّا بهم، لكنْ ساغ نِسبتُه إلى الجنس باعتبار أنَّهم لَمَّا حُشِروا، وفيهمُ الكفرةُ مَقرونينَ بالشّياطين، فقد حُشِروا معهم جميعًا، كما ساغ نِسبةُ القولِ المَحكيِّ إليه مع كون القائل بعضَ أفرادِه"[2].

معنى العموم في ضمير الغَيبة ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾:

يـــومُ الـحـشـر سرورٌ للمؤمنين وحَـســرةٌ على الكافرين

الضّميرُ في قوله تعالى: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ "عامٌّ لِلخَلقِ كُلِّهم مُؤمِنِهم وكافِرِهم، ولَم يُفَرِّقْ بينَ المُؤمنينَ والكافرينَ، كما فرَّقَ في الجَزاءِ، وأُحضِروا جَميعًا، وأوردوا النَّارَ ليُعايِنَ المُؤمنونَ الأهوالَ الَّتي نَجَوْا منها، فيُسَرّوا بذلك، ويَشمَتوا بأعدائِهمُ الكُفَّارِ، وإذا كانَ الضَّميرُ عامًّا فالمعنى: يَتَجاثَونَ عند موافاة شاطئ جهنَّمَ، كما كانوا في المَوقِفِ مُتَجاثينَ؛ لأنَّهُ مِن تَوابِعِ التَّوافُقِ للحِسابِ قبلَ الوصولِ إلى الثَّوابِ والعِقابِ"[3].

دلالة الإخبار بإحضارهم بعد الإخبار بحشرهم:

حَـشْـرُهُـم مَـعَ الـشَّـيـاطـين إنـذارٌ لَـهُـم بأنَّ مَـصـيرَهُـم هـوَ مَصيرُ الشَّياطين

هذا الإحضارُ - يكون قبلَ دخولِهم جهنّمَ - ويكون على أذلِّ هيئة وأحقر صورة مع ما فيه مِنَ المَهانة والصِّغار، "فَحَشرُهُم مَعَ الشَّياطين إنذارٌ لَهُم بأنَّ مَصيرَهُم هو مَصيرُ الشَّياطين، وهو مُحَقَّقٌ عندَ النَّاسِ كُلِّهم، فلِذلك عَطَفَ عليه جُملةَ ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾، والضَّميرُ للجميعِ، وهذا إعدادٌ آخرُ للتّقريب مِنَ العَذاب، فهو إنذارٌ على إنذارٍ، وتَدَرُّجٌ في إلقاءِ الرُّعبِ في قُلوبِهم[4].

دلالة العطف بـ﴿ثُمَّ﴾:

الحرفُ ﴿ثُمَّ﴾ قد يكونُ على ظاهره مِنَ التّرتيب والتّراخي،

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 6/ 173.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 275.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 208.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 145.

وقد يكون حَرفُ ﴿ثُمَّ﴾ للتَّرتيبِ الرُّتبيِّ لا للمُهلَةِ؛ إذ لَيسَتِ المُهلَةُ مقصودةً، وإنَّما المَقصودُ أنَّهُم يُنقَلونَ مِن حالةِ عذابٍ إلى أشدَّ[1].

هؤلاء المُنكِرون للبعث يُنقَلونَ مِن حالَةِ عذابٍ إلى حالةٍ أشدَّ

سرُّ التّقييد بالظّرف ﴿حَوْلَ﴾:

﴿حَوْلَ﴾ في اللّغة يُرادُ بها جانب الشّيء الَّذي يُمكِنُه أن يُحَوَّل إليه[2]، والمراد أنَّهم "يُحيطون بها لضيق رأسِها، وبُعدِ قعرِها، حالَ كونهم جاثين على رُكبهم"[3]، وجاء القيدُ ﴿حَوْلَ﴾؛ "ليَرى السُّعداءُ ما نَجَّاهم اللّهُ تعالى منه، فيَزدادوا غِبطةً وسرورًا، وينالَ الأشقياءُ ما ادَّخروا لِمَعادهم عُدَّةً، ويزدادوا غيظًا من رجوع السُّعداءِ عنهم إلى دار الثّواب، وشماتتهم بهم"[4].

معاينةٌ ومَذلَّةٌ ومَهانةٌ للكافرين، ثمّ يُصلَون سعيرًا

سرُّ إيثار اسم ﴿جَهَنَّمَ﴾ دون النَّار أو السَّعير:

جهنَّم اسمٌ لنار الله الموقدةِ، والنَّارُ: اسمٌ للَّهيب الَّذي يبدو للحاسَّة، والسَّعيرُ اسمٌ للالتهاب منها، وهي من إطلاق المحلِّ وإرادة الحالِّ فيها، وهو النَّار أو السَّعير على سبيل المَجازِ المُرسَلِ؛ أي: حول جهنَّمَ أو سعيرها، وفي التّعبير بجهنّمَ إشارةٌ إلى ما يكون منهم في الدّنيا مِنَ التَّجَهُّم والعبوسِ حيالَ الأدلّةِ وعارِضِها عليهم.

انتظارُ العذاب مَجلَبَةٌ للغمِّ والحزن المُقيم

سرُّ التّقييد بالحال ﴿جِثِيًّا﴾:

سرُّ التّقييد بالحال إظهارُ المهانة والمذلّة زيادةً في تقبيحهم، ويحتمل أن يكون ﴿جِثِيًّا﴾ استعارةً لهؤلاء الأشقياء في حالة قعودهم على رُكبهم أذلَّاءَ مُنتظِرين حسابَهم من هول ما يَرَونَ، فقد شُبِّهَت حالتُهم تلك بحالة الأسير الذَّليل الَّذي يجلس على ركبتيه مُهانًا مُنتظِرًا ما يفعلُ به آسرُه، وهي استعارة تمثيليَّة لهيئة هؤلاء الأشقياء، وما نالَهم من هول ما هم فيه.

بيان الحال المُهين تبشيع للعذاب وتهويل له

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 146.
(2) الرّاغب، المفردات: (حول).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 222.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 275.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»